الجامعة: لا تحمّلوها فوق ما تحتمل

جميل مطر *

■ ما زال بين المفكرين العرب من يصرّ على مطالبة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بإصلاح الجامعة العربية بل النظام الإقليمي العربي ايضاً. هذا النفر من المثقفين العرب يتجاهل حقيقة لم يتوقف العارفون بأمر الجامعة وشأنها عن ترديدها. الأمانة العامة للجامعة العربية لا حق لها ولا تستطيع أن تمارس ضغطاً على دولة عربية عضو في الجامعة لتصلح شأناً مختلاً أو مضطرباً من شؤونها الداخلية. والجامعة العربية لا تملك جيشاً ليحرر الأراضي المحتلة أو ليقاوم الغزو الأميركي على العراق أو ما يستجد بعد العراق. والجامعة العربية لا تملك إرادة سياسية مستقلة عن إرادات الدول الأعضاء.

ثار هذا الموضوع مجدداً بسبب بعض مقالات لمحللين سياسيين وتصريحات لمسؤولين عرب تنتقد الجامعة. والحملة بهذا المعنى ليست جديدة على الجامعة العربية ولا على المهتمين من خارج الجامعة بأمورها. وإن اختلفت الحملة الجديدة فهي تختلف في القصد. القصد من هذه الحملة ليس كالقصد من حملات سابقة حين أراد المنتقدون للجامعة وقراراتها التعبير عن خيبة أملهم وربما التعبير عن الخوف على المصير المشترك، مصير العرب ومصير الجامعة. القصد من وراء الحملة هذه المرة هو البحث عن صيغة جديدة للعمل العربي المشترك والهوية العربية المشتركة لا تظهر فيها كلمة «العربي». وأنا هنا لا أبالغ ولا أزيد على كلام الأطراف التي تخطط للحملة وتتزعمها. ففي أكثر من انتقاد من الانتقادات الموجهة للجامعة وقعت إشارة إلى هذا الموضوع ضمناً أو صراحة. وفي أكثر من مكان تردد الاقتراح بأن تتحول الجامعة إلى مؤسسة تتناسب ظروفها ومضمونها وميثاقها وعملها وعنوانها مع الظروف التي استجدت في المنطقة. يقال إنه استجد في المنطقة واقع جديد، فقد صار للدول المحيطة في المنطقة العربية شأن عظيم وهذه الدول هي تركيا وإيران وأثيوبيا. المهم هنا ليس مدى الدقة في هذا الكلام أو مدى صحته ولكن المهم هو طرحه من جديد، إذ يظن أصحاب هذا الطرح أنهم يطرحون قضية لم تطرح من قبل، بينما قضية دول الجوار تطرح منذ عقود طويلة وفي أشكال مختلفة.

ولكن بين هؤلاء من كان أكثر وضوحاً وجسارة. بينهم من يقول إن السبب الحقيقي وراء الإصرار على إصلاح الجامعة وتغيير نظام عملها ومؤسساتها هو أننا كعرب في الجامعة صرنا نعيش في «غيتو» عربي تحيط به إسرائيل من كل جانب، وتتوغل فيه متى شاء لها أن تتوغل، وتهيمن عليه إن أرادت الهيمنة. وهي تريد وتمارس. وبالتالي لا يجوز أن نستمر طويلاً في هذا الموقع الضعيف وهذه المكانة المتخلفة، بل يجب أن نبادر بضم إسرائيل إلى هذه المنظومة فتتحول الجامعة من تلقاء نفسها إلى منظمة إقليمية، وبطبيعة الحال سيتلو ذلك إسقاط أعضائها صفة العرب عنهم مراعاة لحساسية الإسرائيليين وغيرهم من الجيران. ثم سمعت طرحاً أكثر صراحة. سمعت من يقول إنه بعد احتلال العراق وتدهور حال جميع العرب وبخاصة إزاء مطالب الولايات المتحدة وأوامرها يفكر عرب كثيرون في الاستقالة من «العروبة». لم أسمع ولم أقرأ عن أمة استقالت من هويتها قبل أن تجد البديل لهذه الهوية. وللحق مطروح في مكان ما من العالم العربي ما يسمى بالهوية العربية الجديدة. ولكني فشلت، كما فشل كثيرون في التعرف على هذه الهوية العربية الجديدة. كان أكثر التفسيرات وضوحاً هو ذلك التفسير الذي قال إن الهوية العربية الجديدة اشتقاق من الاتفاق الضمني والتعاهدي بين عدد من الدول العربية على التعامل مباشرة مع إسرائيل من دون خوف من معارضة داخلية أو خارجية، والاعتراف بواقع الإرادة الأميركية المهيمنة على مصائر المنطقة والاندماج اكثر بالدول الواقعة على الطرف الآخر من الحدود السياسية للمنطقة العربية. ولا داعي لأن نقول إن هذا التفسير الواضح جداً ظل صعباً على فهم الذين استمعوا إليه وبالتأكيد لم يقتنع أحد به غير المبشرين بهذه الهوية الجديدة.

المثير في هذه التطورات الأخيرة أن عدداً من المتصدرين لتحرير الجامعة العربية من هويتها ومن ماضيها ومن قراراتها ومن تراثها يطالبونها بأنه إن أرادت أن تبقى فعليها أن تعمل بكل جدية لتثبت أهليتها للبقاء في ساحة العمل الإقليمي – وليس العربي – في الشرق الأوسط. وينضم آخرون إلى هذه الصفوف وبعضهم بنيات حقاً صادقة وطيبة ويضعون قائمة بمطالب أخرى على الأمين العام أن يلبيها. ومن بين الاقتراحات التي لفتت الانتباه اقتراح يدعو الأمين العام للجامعة إلى تشكيل لجنة تتقصى حقائق أوضاع حقوق الإنسان والحريات في الدول العربية وتقدم تقريراً دورياً سنوياً كالتقارير التي تضعها الأمم المتحدة أو الخارجية الأميركية أو الاتحاد الأوروبي. اقترحوا أيضاً أن يهتم الأمين العام بإصدار تقرير عن أوضاع البطالة في العالم العربي وتحليل مصادر الخلل الاجتماعي في الدول الأعضاء والقصور عن حل مشاكل الناس ويقدم التوصيات المناسبة. طرح مفكرون آخرون أن تكون الجامعة الجهة التي تعطي لنفسها الحق في أن تحكم على نجاح السياسات الخارجية العربية أو فشلها وتقويم الأداء الحكومي في كل دولة عضو حسب معايير تضعها هي نفسها أو بالتعاون مع جهات أخرى في العالم لها خبرة في الموضوع. وسمعت عن نصيحة للأمين العام بأن يتدخل شخصياً وبمؤسساته أي بمنظومة الجامعة لتشجيع نشأة جمعيات أهلية في الدول الأعضاء واتحادات لجمعيات أهلية عابرة للحدود السياسية العربية، ويعترف بها ويحاول مدّ يد العون والحماية لها. ولعل صاحب النصيحة لا يدرك أن دولاً عربية عادت فأممت عدداً لا بأس به من الجمعيات الأهلية وأخضعت قطاعات في المجتمع المدني لسيطرة شبه رسمية.

أحد أهم التحديات التي تواجه الأمين العام هو ذلك الذي ينبع من السؤال التالي: ماذا يمكن أن يقوم به الأمين العام للجامعة ليجعل الدول تريد ما يريده هو للجامعة؟ بمعنى آخر كيف يمكن أن يكسب الأمين العام تأييد الدول لاقتراحات إصلاح الجامعة لا لتكون أداة طيعة في يده على حساب مصلحة الدول الأعضاء ولكن لتكون أداة في يد الدول الأعضاء لتحسن ظروفها وتجعلها رصيداً داعماً لها في علاقاتها الخارجية في مواجهة قوى الهيمنة والعدوان والاحتلال. فإن لم يستطع الأمين العام تحقيق هذا الأمر، فعلى الأقل عليه أن يحاول أن يصل مع الدول أو أكثرها على الأقل إلى القبول بأن تسكت، ولو على مضض، أو تمارس متضررة بعض تجديداته وإصلاحاته التي يسير بها متدرجاً من أجل المصلحة العربية العامة.

ورأيت في عيون البعض في اجتماع عقد اخيراً تشاؤماً أو يأساً عندما ناقشنا معاً قضية التحديات. يقول هؤلاء إن التحدي الذي يواجه الأمين العام الحالي هو أكبر كثيراً من تحدي إقناع الدول بما يريده على أهميته. التحدي الأخطر في الأسابيع القليلة المقبلة هو أن يتصلب في المحافظة على كلمة «عربية» التي تصف المؤسسة التي يتولى قيادتها. وحول هذه النقطة كرر أكثر من مشارك في هذا الاجتماع أن القضية الحقيقية التي نواجهها جميعاً كأطراف مهتمة بمستقبل الجامعة العربية هو الهجمة على عروبة «العرب» من جانب بعض العرب شديدي الانغماس في أوهام الواقعية المتطرفة. يقولون، لا غرابة أن محطات الهجوم أصبحت كالتالي: الحضارة العربية، والدول القائدة في النظام الإقليمي العربي، والقومية العربية، والتضامن العربي والسوق العربية المشتركة وجامعة الدول العربية. إذاً هي المنظومة «العربية» ابتداء من قواعدها الفلسفية والعقائدية والتاريخية وانتهاءً بمؤسساتها وبنيتها التحتية.

وحين يقترح أحد الحاضرين ضرورة الاستعداد ليوم يجد الأمين العام نفسه أمام مندوب من العراق بخطاب اعتماد موقع من الحاكم العام الأميركي. يأتي التعليق على لسان حاضر آخر في الاجتماع. قال «دعونا لا ندخع أنفسنا فالدول الأعضاء في الجامعة نوعان: دول تدعي أن عصمتها في يدها ودول تعترف أن عصمتها في أيد أخرى» . وفي رأي آخرين، وإن لم يقولوها صراحة، أن لا داعي للتوقف عند هذه المشكلات فالقضية الأكبر هي كيف نتعامل مع واقع المنطقة الجديد في ظل الهيمنة الأميركية، ثم يقول رأي آخر إنه حينما يأتي دور مناقشة هذه المسألة سيكون العرب قد انتهوا إلى قرار بالنسبة لقبول مراقبين غير عرب في الجامعة أو ربما أعضاء غير عرب، فتحل المشكلة من تلقاء نفسها.

وعندما أثيرت في أحد اللقاءات مسألة أن المندوبين والوزراء العرب الذين يجتمعون في إطار الجامعة العربية لا يحتاجون إلى مترجمين لأن المسؤولين كافة يتكلمون لغة واحدة، بينما سيؤدي مشاركة مراقبين غير عرب إلى الاستعانة بمترجمين للترجمة من اللغة العربية إلى لغات أخرى وبالعكس، وقد يكون بينها العبرية، قيل في سخرية شديدة إن بعض من حضروا جلسات في الجامعة العربية ظنوا أنهم في حاجة إلى مترجمين لترجمة ما يقال بالعربية. فكثير مما يقال في المجالس العربية صعب على الاستيعاب بسبب كثرة الشعارات وشدة الانفعال ودفق العبارات العاطفية والإنشائية، ويحتاج إلى ترجمة تصفي الخطاب السياسي داخل الجامعة وتعيده إلى جانبه العملي.

إن الرأي الذي أثار فضولي في أكثر من اجتماع ناقش أزمة النظام العربي، وأزمة الجامعة، جاء في الدعوة التي وجهها أحد المفكرين إلى الأمين العام ليدعو بدوره مجلس وزراء الداخلية العرب ليضع إلى جانب القوائم السلبية التي تحظر انتقال أكثر من مليون عربي عبر الحدود العربية لأسباب تتعلق بالأمن الداخلي، قوائم إيجابية تسمح بالانتقال السهل والسريع والمضمون ومن دون تأشيرات لملايين الأشخاص الذين يمكن أن يقوموا فعلاً بدعم العمل العربي المشترك كالمستثمرين والعمال المهرة وناقلي المعرفة ومنتجيها والحريصين على رخاء هذه الأمة واستقرارها السياسي. هؤلاء يستحقون جانباً من اهتمام وزراء الداخلية العرب إن كانت نية الإصلاح السياسي الداخلي صادقة، وكذلك نية إنقاذ الأمة العربية وإخراجها هي والنظام العربي وجامعة الدول العربية من أزماتها.

* كاتب مصري.

لماذا تأخر إعلان نتائج مهمة فريق الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العراق؟

كاظم المقدادي *

■ غريب عجيب أمر إدارة الرئيس بوش وموقفها من مهمات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في هذه الأيام. فالمتابع يلمس كيف أعاقت مهمة هذه الوكالة، التابعة للأمم المتحدة، في العراق في ما يتعلق بخطر الإشعاع النووي، فيما تمارس ضغوطاً عليها كي تتخذ موقفاً أكثر تشدداً تجاه الحكومة الإيرانية. والدعوة التي وجهتها الوكالة الدولية إلى إيران قبل أيام، مطالبة إياها القبول بعمليات تفتيش لمنشآتها النووية من دون اي قيود، واعتبرها المراقبون «تأنيباً»، لم تحظ بقبول الولايات المتحدة التي تطالب بـ«ادانة» ايران.

هذا على رغم التناقض الجلي بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأميركية، اذ وصف فيليب ريكر مساعد الناطق باسم الوزارة موقف الوكالة بـ«الايجابي جداً»، واعتبر انه «يعكس القلق الذي أبديناه في شأن البرنامج الايراني»، بينما قال آري فلايشر الناطق باسم البيت الابيض ان «على ايران الالتزام، وإلاّ فإن العالم سيستنتج انها ربما تطور اسلحة نووية» تحت ستار برنامجها لانتاج الطاقة.

موقف الإدارة الأميركية هذا يبدو في تناقض كامل مع موقفها من مهمة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العراق، وتحديداً ازاء سرقة مواد نووية وحدوث تسرب إشعاعي، إثر اعمال السلب والنهب التي طالت المواقع النووية العراقية في اواخر نيسان (ابريل) الماضي. وادى نهب مئات الحاويات والبراميل والصناديق المخصصة لحفظ مواد نووية وملوثات، وسكب محتوياتها عشوائياً، الى تعرض المواطنين في المناطق المحيطة الى خطر التلوث والى الإصابة بأعراض مرضية حادة.

لم تتخذ القوات المحتلة اجراءات عاجلة لدرء التلوث او للحد من خطره، بل وماطلت إدارة بوش طيلة ٦ أسابيع قبل ان تستجيب لطلب الوكالة السماح لها بدخول العراق فوراً للتوثق من المواد التي فُقدت من المواقع النووية المسجلة لديها، وتقدير حجم التلوث الإشعاعي، والحد من أخطاره على المواطنين. وضُربت عرض الحائط التحذيرات التي أطلقها العديد من الخبراء من إحتمال وقوع المواد النووية بأيدي إرهابيين وتعرض بغداد الى تلوث إشعاعي خطير، في اعقاب الإنتشار السريع لكميات كبيرة من النفايات المشعة من مواقع خزنها داخل مجمع التويثة النووي وفي محيطها، والى كثير من البيوت والى الأحياء السكنية المجاورة والقريبة. وينطبق الأمر ذاته على مخزن النفايات النووية الذي كان يحتوي كميات كبيرة من المركّبات والمساحيق والمواد المشعة، وتسرب بعضها بالفعل.

وأكدت تقارير ميدانية بأن خطراً حقيقياً ومرعباً انطلق من هناك، ولن توقفه أي حدود – بحسب تحذير خبراء – ما لم يتم تداركه. وظهرت أولى نتائج ما حدث في المناطق المجاورة لمقر هيئة الطاقة الذرية في التويثة، حيث تعرض المواطنون لجرعات متفاوتة من الإشعاع، بسبب استخدامهم للحاويات الملوثة، أو نتيجة لسكب محتوياتها المشعة في المنطقة. وسجلت أجهزة القياس معدلات عالية من الإشعاع في منازلهم ولدى مواشيهم وطيورهم. ونبّه الخبراء الى ان عمليات التطهير، التي تُنظم بجهود متطوعين من خبراء الهيئة، محدودة، وان محاولة الأهالي التخلص من التلوث بطرق غير صحيحة أدت الى نشره في رقعة أوسع. كما حذروا من ان مواداً كيمائية قاتلة وغازات سامة وبكتيريا وجراثيم تستخدم لأغراض تجريبية فُقدت، واختفت بعض حاويات النظائر المشعة، ولا يزال البعض الآخر معرضاً للسرقة.

وحذر خبير نووي من إحتمال أن تتعدى الأضرار التي طاولت البيئة حدود العراق، مؤكداً بان البرميل الواحد من المواد المفقودة كان يحتوي ٣٠٠–٤٠٠ كيلوغرام من اليورانيوم المشع، من الصنف المسمى «الكعكة الصفراء»، وسُكبت إما على الأرض، او في نهر قريب، او في بالوعات منزلية. واُستخدمت البراميل الفارغة، الملوثة بالاشعاع، لحفظ الماء وجمع الحليب، ونقلت بواسطتها كميات كبيرة من الحليب الى معامل صنع الألبان.

وأظهرت القياسات الإشعاعية التي اجراها الخبير النووي المهندس الدكتور حامد الباهلي لعشرات البيوت المحيطة بمقر هيئة الطاقة الذرية العراقية، ان التسرب الاشعاعي وصل الى أماكن بعيدة. ووجد التلوث الإشعاعي حتى في الأفرشة والملابس، وكان بدرجة خطيرة جداً إذ بلغ ٥٠٠– ٦٠٠ مرة أكثر من الجرعة المسموح بها.

وأفادت التقارير أنه كان يوجد في التويثة قبل الحرب نحو طنين من اليورانيوم المنخفض التخصيب، وأكثر من ٥٠٠ طن من اليورانيوم الطبيعي، وكميات أقل من مادة السيزيوم عالية الاشعاع، والكوبالت، والسترونيوم العالي الإشعاع، والكاسيوم، المخزنة في التويثة. والكاسيوم ١٣٧ هو مسحوق عالي الاشعاع يتميز بخطورة خاصة اذا أُستخدم في انتاج ما يُعرف بـ«القنبلة القذرة».

وما حدث في التويثة تكرر في الكوت وفي أماكن أخرى، حيث تبين ان سبعة مواقع نووية عراقية تعرضت للنهب والسلب. وفي ١١ نيسان (ابريل) اعدت الوكالة الدولية للطاقة الذرية لائحة بالمواقع النووية، وطلبت حماية مجمع التويثة، معتبرة انه أحد موقعين يحتاجان الى حماية عاجلة من اللصوص. وفي ٣ آيار (مايو)، تفقد فريق تابع للبنتاغون المجمع، وعثر على مواد مشعة مبعثرة في أرجائه. وفي اليوم التالي، نُقل عن ريك توركوت، أحد اعضاء الفريق، بأن المادة الاشعاعية المكتشفة تمثل خطراً على الصحة أكثر من أي شيء آخر. ولفت الخبراء العسكريون الاميركيون، في أعقاب معاينة الأضرار التي لحقت بالمنشأة، إلى إختفاء ٢٠ في المئة من المواد المشعة الخطرة التي كانت مخزنة هناك.

وأنحى الخبراء العراقيون باللائمة على القوات الأميركية لفشلها في الاسراع بحراسة هذه المنشأة الحيوية ومنع تعرضها للسلب. وقال الباحث محمد الحمداني: «كانوا يعرفون بوجود مواد مشعة في المنشأة، وكان واجبهم حمايتها».

مع كل هذا، وبعد أكثر من شهر ونصف، وعقب تكرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية لطلبها مرات عدة بضرورة السماح لها بدخول العراق، واعلان مديرها التنفيذي د. محمد البرادعي ان «ثمة وضعاً اشعاعياً وانسانياً ملحاً يتطور هناك استناداً لتقارير شهود عيان»، استجابت الإدارة الأميركية. لكنها اشترطت ان تقتصر مهمة الوكالة في إحصاء حاويات المواد المشعة المفقودة، وإعادة تعبئة المواد المشعة بشكل آمن. ولم تتضمن مهمة الفريق قياس التلوث البيئي الناجم عن الحادث أو مراجعة التقارير الخاصة باحتمال إصابة السكان القريبين من الموقع بأمراض بسبب التعرض للإشعاع النووي. ومُنع فريق الوكالة من دخول المجمع الرئيسي لمركز أبحاث التويثة وستة مواقع نووية أخرى يعتقد أنها نهبت في فترة الفوضى التي عمت بعد انتهاء الحرب!

وبالفعل، باشر فريق الوكالة مهمته في السادس من حزيران (يونيو)، وانجزها في ١٦ منه، لكن تحركه أُحيط بتكتم شديد. وها قد مر اكثر من إسبوع على إنتهاء مهمة الفريق ولم تعلن الوكالة الدولية عن أي نتائج. ويخشى المراقبون الاّ يكون في وسع الوكالة حالياً إعلان نتائج تدين تقصير القوات الأميركية المحتلة هناك.

إرتباطاً بهذا لا يأتي صدفةً تصعيد الموقف الأميركي من إيران، وإشغال الوكالة الدولية بالموضوع، وتأزيم العلاقة بينها وبين إيران، في هذه الأيام بالذات!

* طبيب وباحث عراقي مقيم في السويد.

عملية معقدة وليس "إجراءات"

■ الاشارات جيدة على حذر: إعلان «حماس» و«الجهاد» هدنة الأشهر الثلاثة المشروطة. الإنسحابات الإسرائيلية من قطاع غزة. انتقاد كوندوليزا رايس للجدار الإسرائيلي.

تبعاً لتلك الإشارات: من المبكر الجزم بأن الولايات المتحدة ستمضي فعلاً في ممارسة الضغط إلى النهاية. لكن من الخطأ القول إنها لم تمارس أي ضغط جدي.

وفي هذه الخانة الوسطى، والاحتمالية، يرتدّ السؤال إلى إسرائيل. وإلى منظمتي «حماس» و«الجهاد» أيضاً: هل المطلوب حقاً أن تنجح المحاولة، أم المطلوب إفشالها وتحميل الطرف الآخر مسؤولية الإفشال؟

هناك إشارات كثيرة، لدى الطرفين، في الإتجاهين. لكن ما هو أبعد طريقة فهم ما يجري. هنا مصدر القرار الفعلي والأخير:

فحين تظن إسرائيل أن الإرهاب قابل للتفكيك بين ليلة وضحاها، وأن تفكيكه يجري بمعزل عن وضع الإحتلال. وحين تظن «حماس» و«الجهاد» أن الإحتلال قابل للرحيل بين ليلة وضحاها، وأن رحيله سيجري بمعزل عن وضع الإرهاب... يكون الطرفان قد ارتكبا الخطأ نفسه، من موقعين متضادين. والحال أن مجرد الإبتداء بخطى من النوع المذكور أعلاه، شهادة على أن الواقع لا يعمل بموجب الإجراءات الصارخة.

ذاك أننا أمام عملية **Process** مديدة ولسنا أمام إجراءات، إدارية أو حتى سياسية، مهما كانت حازمة. وهي عملية متداخلة، مترابطة، يتم فيها تبادل التأثر والتأثير على نطاق موسّع. فلا الإرهاب سيختفي ولا الإحتلال سيزول إلا في نهاية تلك العملية وتتويجاً لها. لكن اختفاء الإرهاب يعجّل في زوال الإحتلال بقدر تعجيل زوال الإحتلال في اختفاء الإرهاب.

وهنا ينبغي، كي نرى الصعوبات الفعلية، تجنب الخداع الذاتي والتمرد على الثنائيات التقليدية والمبسطة:

الإرهاب: هو إرهاب، لكنه يندرج في التحرر الوطني الفلسطيني في وقت واحد. وهو أيضاً شعبي يحظى بالإلتفاف الواسع إذ يُنظر إليه، على بشاعة ذلك، بوصفه السلاح الوحيد المتوافر للفلسطينيين في ظل انهيار كاسح في توازن القوى. أما موضوع حظه في النجاح منظوراً إليه من هذه الزاوية فمسألة أخرى.

الإحتلال: هو احتلال، لكنه يندرج في شروط الأمن الإسرائيلي. المستعمِر والمستعمَر، في هذه الحال، يربطهما تداخل غير معهود في الاحتلالات السابقة. وهو، بالتالي، احتلال شعبي إذ يُنظر إليه، على بشاعة ذلك، بوصفه السلاح الوحيد المتوافر في ظل عدم قيام سلام مجتمعي مطمئن للاسرائيليين. وهنا أيضاً: موضوع حظه في النجاح منظوراً إليه من هذه الزاوية مسألة أخرى.

هل يمكن إحلال ثقافة «العملية المعقدة»، في الوعي الشعبي للطرفين، محل ثقافة «الإجراءات»؟

المؤكد أن شارون والمؤسسات العسكرية القومية الإسرائيلية، وكذلك «حماس» و«الجهاد»، يعرفون أنهم سيكونون أول ضحايا تغير في الوعي من هذا النوع. في هذه الغضون، وفي هذه الحدود، يكتسب الضغط الأميركي أهميته القصوى. لكن ما يُخشى أن عقل الإدارة الأميركية الحالية عقل «إجراءات» أكثر بكثير مما هو عقل «عملية». والمُقلق أن تؤول النظرية الإجرائية في طورها الجديد إلى اعتبار «تفكيك» المنظمتين البديل الوحيد «الرحب» لقتل الناشطين!

حازم صاغيّة

ريش شارون و"الحمامة" رايس

■ رغم الفارق الشاسع في النيات، لم يخطئ رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس في ايجاز أحد العناوين البارزة للصراع على «خريطة الطريق» بعد جولة كوندوليزا رايس، بوصفه «الاختبار الوحيد» لزعيم الصهاينة الجدد اريل شارون، من خلال تطبيق الخريطة. شارون نفسه في المقابل لم يخطئ في التعبير عن أهدافه من التطبيق، بالحديث عن «اختبار وحيد» لعباس هو تفكيك الفصائل الفلسطينية المسلحة... وإلا لا خيار سوى محو الخريطة.

هكذا يتبين بوضوح أن اللاعبَين ليسا على ملعب واحد، والأسباب معروفة بالطبع، مهما حاول الإسرائيلي الايحاء باتفاقات أو تفاهمات سرية مع «أبو مازن»، أبرزها توقع شارون بدء «حرب» السلطة الفلسطينية على الفصائل بعد شهر، لنزع أسلحتها بالقوة. كأنه هو نفسه وضع مخطط حرب الاستئصال، وينتظر من عباس التنفيذ، بالتالي انهيار الهدنات التي انضمت إليها «حماس» و«الجهاد» و«فتح»، إذا صمدت حتى آخر تموز (يوليو).

من مصلحة إسرائيل ألا تصمد ولو لبضعة أيام، ما دام هدفها الأول التنصل من تطبيق «خريطة الطريق»، لحشر السلطة في زاوية الحرب الأهلية الفلسطينية التي كان تفاديها الدافع الأول لهدنة الفصائل، على رغم خلافها على الخريطة. وإذا كان رفض شارون الاعتراف بقرار «حماس» و«الجهاد» و«فتح»، سيؤدي إلى تمديد حبل الاغتيالات والتصفيات، بالتالي نسف الهدنة، فلا جديد يمكن اكتشافه في سياسة الاستئصال الإرهابية الإسرائيلية، مهما قيل عن «انجازات» حققتها جولة كوندوليزا رايس. وبعض من تلك الخديعة التي سميت انسحابات، لن يلبث زعيم ليكود نفسه أن يكشفه بمجرد حصول أي عملية مسلحة، ليعاود مسلسل الاجتياحات والتوغلات.

بهذا المعنى، وعلى رغم الفارق في النيات، تتبادل الفصائل ورئيس الوزراء الإسرائيلي الرهان على انهيار الهدنة وإعادة الخريطة إلى الحائط الأميركي، من دون أن يلغي ذلك حاجة «حماس» و«الجهاد» و«كتائب شهداء الأقصى» إلى فترة تهدئة، تنقذ ما بقي من رؤوس الانتفاضة المسلحة، وتبعد خيار تشييع الانتفاضة في نعش اسمه «خريطة الطريق». كذلك، لا يلغي الرهان ذاته صراعاً على الأدوار لم يعد خفياً، وراء حاجز الهدنات ومشاريعها، بين مَن هم أحرار يحركون الشارع الفلسطيني، وبين مَن لا يزالون تحت الحصار – أي الرئيس ياسر عرفات – أو في المعتقلات مثل مروان البرغوثي... لأن هؤلاء جميعاً لا يستوعبهم وعاء السلطة، إما بقرار أميركي وإما بقرار إسرائيلي.

وعلى هامش خيمة الصراعات، تحت سقف الانتفاضة وعلى «خريطة الطريق»، يأتي الترحيب السوري وبعده اللبناني منسجماً مع ارتياح البيت الأبيض إلى موقف الفصائل، وهو ارتياح لا يعني في المحصلة النهائية سوى أمر واحد: حان الوقت لإلقاء السلاح وانهاء المقاومة. فهل هذا هو ثمن الخريطة الأخرى المنقحة للمسارين السوري واللبناني؟

على المسار الفلسطيني، حاولت كوندوليزا رايس غير المعروفة بكونها حمامة بين صقور واشنطن، أن تطرح رديفاً لنهج الاستئصال القسري الإسرائيلي، بعدما دافعت بشدة عن «تفكيك» حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي». اكتشفت مستشارة الأمن القومي الأميركي طريقة لاختراق القواعد الشعبية للفصائل المعارضة: مشاريع طرق ومستشفيات ومؤسسات اجتماعية في الأراضي الفلسطينية لسحب البساط من تحت الفصائل، والأهم في الترجمة العبرية لصفقة المشاريع، تعزيز حضور عباس وسلطته، كأن صفقة المساعدات الاقتصادية الأميركية «رشوة» ببليون دولار، لنسف كل ما حققته جولات الحوار بين هذه السلطة و«حماس» خصوصاً، بزرع مزيد من بذور الشكوك والاستعداء.

ومرة أخرى، لا حمائم بين الأميركيين والإسرائيليين، بل توزيع أدوار على نغم واحد هو انهاء المقاومة، مرة وحيدة وإلى الأبد. وكلما أوهم شارون العالم ببادرة «حسن نية»، مثل الانسحاب من بيت حانون، رمى حجراً كبيراً في بيت السلطة الفلسطينية، ليهدم ما بقي من جدرانه.

لدى زعيم ليكود، ليس المهم مَن «يرشو» عباس ببليون دولار للمشاريع «الخيرية»، بل ان ينضم إليه في مشروع شراكة «تاريخية» لدفن المقاومة. ولأن الأخير خيّب ظنه فلم «ينبت ريشه» بسرعة لوخز الفصائل، لم يعد أمام شارون سوى الرهان على قتل الهدنة.

زهير قصيباتي

AL HAYAT الحياة

أسسها كامل مروة عام ١٩٤٦
رئيس التحرير: جورج سمعان
Editor-in-Chief: George Semaan

رئيس التحرير المساعد: غسان شربل
نائب رئيس التحرير: عبد الوهاب بدرخان
مديرا التحرير: زهير قصيباتي
عبدالله اسكندر
المدير العام: روبير جريديني

■ المكتب الرئيسي (لندن):
KENSINGTON CENTRE, 66 HAMMERSMITH ROAD, LONDON, W14 8YT
– التحرير: الهاتف: 020-76029988 الفاكس: 020-73714215 / 020-73714225 التلكس: 925746
– الادارة العامة: الهاتف: 0207-6029988 الفاكس: 0207-6024963 التلكس: 925751
– التوزيع: الهاتف: 0207-6052123 0207-6052122 الفاكس: 0207-6024514
■ مكتب باريس: 162 Rue du Faubourg Saint Honore 75008 - PARIS Tel: 42 25 9204 Fax: 42 25 9217
■ مكتب بيروت: الوسط التجاري – شارع المعرض – مبنى دار «الحياة» – ص.ب ١١/١٢٤٢
هاتف: ٤ / ٣ / ٢ / ١ / ٩٨٧٩٩٠ (٠١) فاكس التحرير: ٩٨٣٩٩٥ (٠١) فاكس الادارة: ٩٨٣٩٢١ (٠١)
■ مكتب الرياض: جرير بلازا – الدور الرابع – شارع العليا العام
ص.ب. ٦٨٩٠٧، الرياض ١١٥٣٧، الهاتف: ٤٦١٥٦٧٥ / ٤٦١٥٤٩٦ / ٤٦١٥٤٠٢، الفاكس: ٤٦١٥٣٢٥
ادارة التسويق: هاتف: ٥٤٠٢ ٤٦١، فاكس: ٧٥٣٢ ٤٦١ .
■ مكتب جدة: شارع الاندلس، بناية تهامة، الطابق الثالث. ص.ب. ٢٣٥٦٨، جدة ٢١٤٣٦، الهاتف: ٦٥٣٤٤٢٦، ٦٥٣٢٢٠٢ الفاكس: ٦٥٢٠١٥١
■ مكتب الدمام: الدمام، شارع الملك فهد، مبنى تهامة تليفاكس : ٠٣-٨٤٣٤١٠٠
■ مكتب القاهرة: ٨ شارع رستم المتفرع من شارع اميركا اللاتينية، شقة ٥ الدور الثاني، جاردن سيتي
الهاتف: ٧٩٥٠٠٤٠ و ٧٩٢٠١٦٩، الفاكس: ٧٩٥٨٠٤٣
■ مكتب دمشق: مزة فيلات غربية – برج تاله ط ٩ الهاتف: ٠٠٩٦٣١١٦٦١٠٠٠٠/١ الفاكس: ٠٠٩٦٣١١٦٦١٥٠٠٠
– الاعلانات: تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
جدة – شارع الامير/محمد بن عبد العزيز (التحلية سابقاً)، مبنى بن حمران،
المملكة العربية السعودية، الهاتف: ٦٦١٧٧٧٧-٢-٩٦٦ (١٥ خطاً) – الفاكس: ٦٦١٧٧٤٤-٢-٩٦٦
TIHAMA - MEMS DUBAI tel:00 9714 3355888 Fax:00 9714 3342844 email: tihamamems@choueirigroup.com
● تصدر عن شركة الحياة الدولية للنشر
Registered as a newspaper at the Post Office
مزيد من المعلومات في موقع الحياة:
http://www.daralhayat.com